حذف الفاعل في كتاب المنتخب والمختار لابن منظور
دراسة في التركيب والدلالة

د. بندر الخالدي

- الكويت -

مقدمة:

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، وتبدو مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحاً، ونحن نرى أن ثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات لما جبلت عليه العربية في خصائصها الأصيلة من ميل إلى الإيجاز جعلها- مثلاً- تضمر فعل الكينونة في الربط بين جزأي الجملة الاسمية، ولا تذكر لفظاً للتعبير عن الكون المطلق أي مجرد الوجود، فهو واجب الحذف إذا كان خبراً للمبتدأ بعد "لولا"، أو خبراً لـ"لا" النافية للجنس، أو في غير ذلك من المواضع، وليس الأمر كذلك بالنسبة لكثير من اللغات التي تظهر أفعال الكينونة.

وينتج الحذف في اللغات عن أسباب متشابهة في أحيان كثيرة، منها ما يعرف في العربية بكثرة الاستعمال- وسنبحثه بالتفصيل في الفصل التالي- وهو ما نقف عليه فيما يعتري بعض التعبيرات الفرنسية التي يكثر استعمالها في الحديث اليومي وهي ne.... pas "ولا خطوة" ne.... rien "لا شيء" ne ... personne "ولا شخص"، صارت هذه العبارات تستعمل

استعمالاً خاصاً في الرد على كثير من الأسئلة ذات الصيغ المعينة يتمثل في حذف الجزء الأول من التعبيرات وهو كلمة ne الدالة على النفي فيكون الجواب: pas (خطوة)، أو personne (شخص) أو rien (شيء) وحدها، ولكن يفهم الفرنسيون من هذه الكلمة معنى النفي بعد حذف الكلمة الدالة أصلاً عليه، فإذا رد الفرنسي على سؤال بمعنى: (من هناك؟) وأراد أن يقول: لا أحد؛ كانت إجابته personne أي "شخص" أو "أحد".

وشبيه به في العربية ما ذكر عند القدماء على أنه من سنن العرب في كلامها حين يقولون "والله أفعل ذلك" يريدون: لا أفعل. وكذلك حذف "لا" النافية قبل "تفتأ" كما في قوله تعالى "تالله تفتأ تذكر يوسف" وقبل (أبرح) كما في قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قاعِداً

وذلك لجريان العرف على أن هذين الفعلين لا يستعملان إلا منفيين، ولهذا السبب أمكن الحذف اعتماداً على قرينة الاستعمال المشهور، وسنشير إلى ذلك في مواضعه من البحث.

الفاعل:

الفاعل يسمى بهذا الاسم عند جميع النحاة بصريين وكوفيين، والمسند إليه عند أهل المعاني وبعض النحاة والمحكوم عليه عند أهل المعاني والموضوع عند المناطقة.

وهو ما أسند إليه الفعل أو شبهه وذكُر بعده على جهة قيامه به أو وقوعه منه.

أو هو اسم أو ما في تأويله، تقدم عليه، أصلي المحل والصيغة فالاسم نحو : تبارك الله. والمؤول به، نحو قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا)، وليس هناك فرق بين المنصرف والجامد نحو : قام زيد، ونعم الفتى.المؤول بالفعل وهو ما يعمل عمله، وهم:

1 - اسم الفاعل ومنه أَقائمٌ الزَّيْدان.

2 - الصفة المشبهة ومنه زَيْدٌ حَسَنٌ وجْهُهُ .

3 - اسم الفعل نحو هَيْهاتَ العَقيقُ .

4 - المصدر نحو: عَجِبْتُ مِن ضَرْبِ زَيدٍ عَمراً .

5 - الظرف نحو : زَيْدٌ عندَكَ أبوهُ.

6 - الجار والمجرور نحو: زيدٌ في الدارِ غُلاماه .

7 - أفعل التفضيل نحو : مَرَرْتُ بالأفضل أبوهُ .

تمهيد:

حذف الفاعل من القضايا التي نالت اهتمام النحاة ويذكر المبرّد أنه لابد لكل فعل من فاعل، لأنه لا يكون هناك فعل إلاّ فاعل له فالفعل والفاعل بمنزلة شيء واحد إذا كان لا يستغني كل واحد منهما عن الآخر فهما كالمبتدأ والخبر .

ثم جاء ابن المبرّد الذي فرّق بين الحذف والإضمار بأنه يُشترط في الإضمار بقاء الأثر المقّدر في اللفظ وهذا لا يشترط في الحذف.

وتبعهم الكسائي حيث رأى جواز حذفه لدليل ورّجحه السهيلي وابن مضاء .

أما ابن هشام فقد منع حذف الفاعل لأنه كالجزء من الفعل .

وذكر النحاة المواضع التي يُطرد فيها حذف الفاعل وهي أربعة مواضع منها باب نائب الفاعل، والاستثناء المفرغ ، وأفعل بكسر العين في التعجب وفي المصدر.

ومنع الشيخ عثمان بن جني من النحاة حذف الفاعل، ونص على استحالة ذلك، والمختار هو المنع من حذفه من غير دلالة تدل عليه حاليّة أو مقالية، فأما مع القرينة، فلا يمتنع جوازُه، ويدلّ على حذفه قوله تعالى: **(كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ)** فحذف فاعل بلغت والغرض النفس، وليس مضمرا لأنه لم يتقدم له ظاهر يفسره، وإنما دلت القرينة الحالية عليه، لأنه في ذكر الموت ولا يبلغ التراقي عند الموت إلا النفس..." .

وبعد الاستقصاء الشامل في عينة الدراسة لكل ما جاء في كتاب المنتخب والمختار من شواهد محمولة على حذف الفاعل وجدت أن حذف الفاعل يدور في المحاور الآتية:

المحور الأول: حذف الفاعل بعد كان الزائدة .

المحور الثاني: حذف فاعل أفعال المدح والذم وما يعمل عملها .

المحور الثالث: حذف الفاعل مع الفعل المكفوف.

المحور الرابع: حذف فاعل اسم الفعل هيهات.

المحور الخامس: حذف الفاعل في الاستثناء.

المحور السادس: حذف الفاعل مع الفعل المؤكد.

المحور السابع: حذف الفاعل في التنازع .

المحور الثامن: حذف الفاعل في باب نائب الفاعل .

المحور التاسع: حذف الفاعل إذا وُجد ما يدل عليه .

المحور العاشر: حذف الفاعل فيما أضيف المصدر إلى مفعوله.

المحور الحادي عشر: حذف الفاعل إذا لاقى ساكناً .

وفيما يلي تفصيل ذلك:

المحور الأول: حذف الفاعل بعد كان الزائدة :

ومنه قول ابن العلاف، من المنسرح:

ما كانَ أَغْناكَ عَنْ تَسَلُّقِك البُرْجَ ولَو كانَ جَنَّةَ الخُلْدِ

والشاهد هنا ما كان أغناك، فكان هي الزائدة التي تقع بين ما التعجبية وفعل التعجب، فحذف الفاعل بعد كان الزائدة لأنها لا تحتاج إليه .

ومنه أيضاً قول حامد لعلي بن عيسى ما كان ضرك لو جئت بما جاء به قاضي القضاة.

والشاهد: ما كان ضرك.

وقول ابن المعتز من مجزوء الكامل:

يا ليلةً ما كان أَطْيبَها سوى قَصرِ البقاء

والشاهد هنا: ما كان أطيبها، والقول فيهما كسابقهما.

فقد ذكر النحاة أن بعض الأفعال لا تحتاج إلى فاعل منها كان الزائدة وبناءً على الراجح عند المحققين أن كان الزائدة لا فاعل لها، نحو قول الشاعر :

للهِ دَرُّ أنو شروانَ من رَجُلٍ ما كانَ أعرفَهُ بالدونِ والسفلِ

فالمعروف أن كان الزائدة لا فاعل لها.

وتختلف كان من بين أخواتها بجواز زيادتها بشرطين:

أولها : كونها بلفظ الماضي.

وثانيهما : كونها بين شيئين متلازمين، ليسا جاراً ومجروراً ومن ذلك زيادتها بين (ما) التعجبية وفعل التعجب، ومنه قول عبد الله بن رواحة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ماكان أسْعَدَ مَنْ أجابكِ آخِذاً بهُداك مُجْتَنِباً هوى وعناداً

المحور الثاني: حذف فاعل أفعال المدح والذم وما يعمل عملها :

ومنه في المنتخب ما جاء في العقل والتجاوب :

جعل الله جميع المخلوقات التي لا تعقل وإن عظمت جثة وقوة سخرياً للعقلاء.

الشاهد: وإن عظمت جثةً وقوة.

أي : عظمت أجسامها جثة وقوة .

فقد ذكر الحوفي أن فاعل أفعال المدح والذم وما يعمل عملها يحذف نحو قوله تعالى :] كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ [فاعل "كبر" ضمير مستتر وذكر الحوفي أن التقدير : كبُر مقتا عند الله جدالهم. على حذف الفاعل وهو عند ابن حيان من تفسير المعنى لا تفسير الإعراب ولعل ما يعزز قول أبي حيان أن النحويين لم ينسبوا إلى الحوفي هذا القول وابن عطية مما يجيزون ذلك.

المحور الثالث: حذف الفاعل مع الفعل المكفوف:

ومنه قول الرضي من الطويل:

وَإِن أَقعَدَتكَ النائِباتُ فَطالَما سَرى موقَراً مِن مَجدِكَ المَلَوانِ

الشاهد : طالماً سرى.

فطال فعل ماض وما كافة والفاعل محذوف والتقدير طال سريه إياك.

ومنه قول جعفر بن يحيى من الكامل :

راجِع أَحِبَّتكَ الَّذينَ هَجَرتَهُم إِنَّ المُتَيَّمَ قَلَّ ما يَتَجَنَّبُ

الشاهد : قلما، فعل ماض، وما كافة، والفعل محذوف والتقدير قل تجنبه فالفاعل يحذف مع الأفعال قل، وطال، وكثر المكفوفة فهي أفعال لا فاعل لها لأنها مكفوفة.

وقد ذكر ابن عقيل أن هذه الأفعال لا تحتاج إلى فاعل بناءً على ما ذهب إليه سيبويه ومن العلماء من يذهب أن (ما) في نحو طالما نهيتك مصدرية سابكة لما بعدها بمصدر هو فاعل طال والتقدير طال نهي إياك.

وجاء في إعراب الألفية أن قلما فعل لا فاعل له فهي فعل ماض لم يسم فاعله وقلما فعل جامد بصفة الماضي تستعمل للنفي المحض، ولا يرد منه المضارع، وقد تستعمل مجردة من " ما " وإذا جُردت من ما رفعت فاعلاً متلوا بصفة مطابقة : قل رجل يفعل ذلك وإذا جردت من ما كانت اسماً وتعرب مبتدأ لا خبر له ومضافاً، والجملة بعد المضاف إليه صفة له في محل جر مثل : قل رجل يفعل ذلك.

وإذا اقترنت بما كانت ما زائدة، وكافة لها عن العمل وكانت قّل فعلا لا فاعل له، ولا يلي قلمّا إلاّ فعل مثل : قلّما فعلت هذا، وقلما أفعله، وإذا جاءت قلَما والفعل بعدها قبل فاء السببية أو واو المعية نصب الفعل بعدها بأن مضمرة جوازاً مثل : قلّما يهمل الطالب فينجح أو ينجح، وقد يصح الاستثناء بعد قلّما كما يستثني من المنفي مثل قولك : قلما يفعل هذا إلاّ أحمق أي : لا يفعله إلاّ أحمق .

ومن الشواهد المذكورة في المنتخب أيضًا قول أبي نواس (من البسيط):

حَتَّى أبينُ مَا يَأتِي وَمَا يَذَرُ إنّي امْرؤٌ قَلَّمَا أُثْنِي عَلَى أحَدٍ

الشاهد : قلما أُثني أي : قل ثنائي.

المحور الرابع: حذف فاعل اسم الفعل هيهات:

ومنه قول حارثة بن بدر : من البسيط:

تراك تنجو سليماً من غوائلِها هيهات لا بُدّ أنْ يَسْري بك الساري

الشاهد هيهات أي بعد الفرق، وللنحويين في هيهات ثلاثة مذاهب هي :

1 - أن يكون هيهات من أسماء الأفعال لا موضع لها من الإعراب وهو قول الأخفش وكثير من النحويين .

2 - أن تكون في موضع نصب بفعل مضمر وهو قول المازني وذكر الأشموني أن هذين المذهبين منقولان عن سيبويه وأبي علي الفارسي .

3 - أن تكون في موضع رفع على الابتداء وأغناها مرفوعها عن الخبر، وفاعل هيهات يجوز أن يكون مضمراً.

وأجاز ابن عطية أن يكون فاعل هيهات محذوفا في قوله تعالى :] هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ[أي : بعد الوجود لما توعدون، وهو ليس بجيد عند أبي حيان وقيل إنّ هيهات مبتدأ خبره لما توعدون.

وقد جاء في بغية الإيضاح أنّ هيهات اسم فعل بمعنى بعد وفاعلها محذوف مستشهداً بقول أبي تمام:

هَيهاتَ لا يَأتي الزَمانُ بِمِثلِهِ إِنَّ الزَمانَ بِمِثلِهِ لَبَخيلُ

فهيهات اسم فعل بمعنى بعد وفاعله محذوف والتقدير : بعدُ إتيان الزمان بمثله بدليل ما بعده .

قال الفارسي : هيهات اسم سُمي به الفعل في الخبر ولا موضع لها من الإعراب، وقيل إن هيهات مبتدأ بمعنى البعد وهيهات اسم فعل واسم الفعل في لغة العرب مركبة من لفظين لفظ اسم ولفظ فعل ويمتاز عن الفعل بالإيجاز والمبالغة في أداء المعنى الذي يدل عليه الفعل، وأسماء الأفعال هي ما نابت عن الفعل في المعنى والاستعمال، ولم تقبل علاماته، أي أن هذه الألفاظ تشبه الفعل في دلالته على الحدوث والزمان وفي العمل لزوماً وتعدياً، وتخالفه أنها لا تقبل علاماته المعروفة غالباً لأن أسماء الأفعال المفقودة عن الحروف أو الظرف تلحق بها الضمائر والغرض من استعمالها هو الإيجاز أحياناً أو المبالغة في بعض الأحيان، وهي لا تتأثر بالعوامل كما تتأثر الأسماء الأخرى التي تقوم مقام الأفعال كالمصادر، واسم الفعل كلمة تدل على ما يدل عليه الفعل .

وهيهات اسم فعل ماض، واسم الفعل الماضي قليل أو أقل استعمالاً من أسماء فعل الأمر في اللغة . وقد ورد في كلمة هيهات لغات منها هيهاتُ بالضم بلا تنوين ذكر القرطبي نقلاً عن الثعلبي أنه قال إنها قراءة نصر بن عاصم، وأبو العالية.

وهيهات بالفتح والتنوين وقد نسب أبو حيان هذه القراءة إلى هارون عن أبي عمرو .

هيهات بالفتح من غير تنوين وهي للجمهور، وقال البنا الدمياطي هي لغة أهل الحجاز.

هيهات بالكسر من غير تنوين نسبها البنا الدمياطي لشيبة وغيرها وهي لغة تميم وأسد .

وهيهات بالكسر والتنوين نسبها النحاس إلى عيسى بن عمرو.

المحور الخامس: حذف الفاعل في الاستثناء المفرّغ:

ومنه قول الببغاء من الطويل:

فلم يبق إلاّ ذكره وحديثه تنادي بليل معولات حلائله

الشاهد : فلم يبق إلاّ ذكره أي لم يبق شيء إلاّ ذكره ومنه قول سليمان بن عبد الملك : لم يبق من لذتي إلاّ صديق. أي لم يبق شيء .

ومنه أيضاً :

اعتل الفضل بن يحي فقال : ما عادني في علتي إلاّ إسماعيل بن صبيح.

أي ما عادني أحدُ، إلاّ إسماعيل بن صبيح فقد جاء في شرح التصريح على التوضيح أن الفاعل يطرد حذفه في أربعة مواضع منها الاستثناء المفرّغ نحو ما قام إلاّ هند أي : ما قام أحدُ، إلاّ هند.

فما بعد إلاّ ليس فاعلاً بل هو بدل فاعل فالبدل قام مقام الفاعل.

المحور السادس: حذف الفاعل مع الفعل المؤكد:

ومنه في المنتخب:

كان تأبط شراً يسير مع غلام فمّر بنار ليلاً فلما رآها

قال : نهشت نهشت النار النار .

فالنار فاعل لنهشت الأولى والثانية لا فاعل لها

فقد ذكر ابن عقيل أن بعض الأفعال لا تحتاج إلى فاعل منها الفعل المؤكد في نحو قول الشاعر :

أتاك أتاك اللاحقون احبِسِ احبِسِ .

فاللاحقون فاعل للأول، ولا فاعل للثاني.

لأنه إنما ذكر للتأكيد، لا يسند إليه، وقيل : إنه فاعل بهما معا وذلك لأنهما لما اتحدا لفظاً ومعنى نزلا بمنزلة الكلمة الواحدة، وقيل إنهما تنازعا قوله (اللاحقون) ولو كان كذلك لزم أن يضمر في أحدهما، فكان يقول : أتوك أتاك اللاحقون عل إعمال الثاني، وأتاك أتوك فعلى إعمال الأول وهذا البيت يكثر استشهاد النحاة به ولم ينسبه واحد منهم إلى قائل معين والبيت بأكمله:

فـأَيْـنَ إلى أَيْـنَ الـنَّـجـاةُ بِبَغْلَتي أَتاكَ أَتاكَ اللاحِقون احبِسِ احبِسِ

المحور السابع: حذف الفاعل في التنازع:

ومنه قول البحتري : من الطويل:

ولَقَدْضَمّناوَشْكُالتَّلاقيولَفَّنَا عِناقٌ على أَعْناقِنا ثم ضَيّقُ

الشاهد : ضّمنا ولفنا عناق، أي : ضمنا عناق

فحذف فاعل الأول للخوف من الإضمار .

فقد ذكر الكسائي أنه يجب حذف الفاعل في التنازع من الأول عند إعمال الثاني خوف الإضمار قبل الذكر مع إن الحذف أشنع من الإضمار قبل الذكر.

ومنه أيضاً في المنتخب قول ابن قاضي ميلة البحري من الكامل :

ومدامة عُني الرُضاب بمزجها فأطابها وأدارها التقبيل

الشاهد : فأطابها وأدارها التقبيل أي أطابها التقبيل وأدارها التقبيل .

المحور الثامن: حذف الفاعل في باب نائب الفاعل:

أ- للتعظيم

نائب الفاعل هو الاسم المرفوع الذي لم يذكر بعد فاعله ويُسمي بالمفعول الذي لم يسم فاعله.

يحذف الفاعل في باب نائب الفاعل للتعظيم ومنه :

قال أنس : خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم على ناقته الجدعاء وليست بالعضباء فقال : يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا قد كُتب.....

الشاهد كأن الموت على غيرنا قد كُتب أي : كتبه الله فحذف الفاعل وهو لفظ الجلالة لعظمته وصونه أن يقترن بالمفعول في الذكر أي أن الذي كتب عظيماً .

فقد ذكر ابن هشام أن الفاعل يحذف في باب نائب الفاعل إذا رغب المتكلم في تعظيمه للفاعل إما بصونه للفاعل على أن يجري على لسان المتكلم، وإمّا بصونه على أن يقترن بالمفعول في الذكر نحو أن تقول، خُلق الخنزير.

وقد تغيرت صورة الفعل بعد حذف الفاعل فضم أوله وكُسر ما قبل أخره على أن الفعل لم يسم فاعله وأن المفعول به ناب منابه. والتعظيم والإعظام فيه من الإبهام لذهاب الذهن في كل مذهب أو تشوقه إلى ما هو المراد فيرجع قاصداً عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور ومنه في القرآن في قوله تعالى: [**قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**] إذا كان الذي قضاه عظيم القدر قال الزمخشري : هذا أدل على كبرياء المنزل وجلال شأنه في قوله تعالى: [**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**] من القراءة الشاذة أُنزل مبنياً للمعلوم.

وهناك فرق بين التعظيم والتكثير، فالتعظيم علو الشأن، وارتفاع الدرجات، أما التكثير فبحسب الكم تحقيقاً أو تقديراً كما في المعدودات والموازنات والمكيلات.

(ب) حذف الفاعل للخوف منه :

يحذف الفاعل للخوف منه، ومنه ما جاء في المدح والثناء :

خرج خارجي على المتوكل فُحُبس ثم هرب وعاد إلى ما كان عليه فجيء به، وقُدم ليُضرب عنقه فقال المتوكل: ما حملك على ما صنعت ؟ قال الشقوة فعفا عنه.

الشاهد : قدم ليضرب عنقه أي : قدم الحراس الخارجي. ليضرب السياف عنقه فحذف الفاعل خوفاً منه.فالنفس دائما يعتريها الخوف حينما تسمع اسم الحراس وجبروتهم وكذلك السياف وقسوته.

فالفاعل يحذف لخوف المتكلم من الفاعل إذا كان جباراً ينال الناس بأذاه أو خوف المتكلم أن يؤخذ كلامه شهادة عليه.أو خوف المتكلم من الفاعل فيعرض عنه وهذا الغرض من الحذف غرض معنوي فالفاعل في مثل هذا يحذف رغم العلم به ولكن يُخشى التصريح به.

والفعل يُضرب مضارع وعند البناء للمجهول وحذف الفاعل تغيرت حركاته يضم أوله وفتح ما قبل آخره. ومن هذا الحذف قول النابغة (من الطويل):

رمَتني بَناتُ الدَهرِ مِن حَيثُ لا أَرى ... فَكَيفَ بِمَن يُرمى وَلَيسَ بِرام

الشاهد : فكيف بمن يرمى، أي يرميه الأعداء، فحذف الفاعل للخوف منه.

(ج) حذف الفاعل للإبهام :

يقال : استبهم الخبر واستغلق بمعنى أبهمتَه إبهاما إذا لم تبيِّنه ويقال للمرأة التي لا يحل نكاحها لرجل هي مبهمة.

ومنه :

قول المنصور : رأيت رجلاً من ولد هشام بن عبد الملك يسأل ليتصدق عليه.

الشاهد : يسأل ليتصدق عليه : أي : ليتصدّق الناس عليه فحذف الفاعل للإبهام.

لقد رأى ابن هشام أن الفاعل يحذف في باب نائب الفاعل للإبهام نحو : تُصدق بألف دينار.

فالإبهام هنا عدم ذكر الشخص الذي تصدق بهذا المبلغ من المال ويتصل هذا الإبهام بمقام الصدقات التي يخرجها الإنسان، حيث أننا نجد من يخرج الصدقة يبهم من أمرين أولهما خاص بمن يمنع الصدقة، والآخر خاص بالمبلغ الذي يخرج لها ويمكن أن يضاف إليهما كذلك أن الشخص الذي أخرج الصدقة لا يذكر اسم من أعطاه إياها حين يتكلم مع شخص آخر فيقول مثلاً : أُعطي مبلغاً وهذا كله له صلة بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

(د) حذف الفاعل للجهل به :

ومنه في المنتخب :

وَلا تَحقِرَن يا حارِ شَيئاً أَصَبتَهُ فَحَظُّكَ مِن مُلكِ العِراقَينِ سُرَّقُ

الشاهد : سُرق أي : سرقه اللصوص.

ومنه ما جاء في النوادر:

سرق لص قميصاً فأعطاه ابنه ليبيعه فسُرق، فعادَ إلى أبيه فقال: بكم بعته؟ قال برأس المال

الشاهد : سُرق أي سرق لص القميص فحذف الفاعل للجهل به.

فقد ذكر النحاة أن الفاعل يحذف في باب نائب الفاعل للجهل به وهو غرض معنوي.

فالفاعل يحذف لأنه غير معروف للمتكلم فهو لا يستطيع تعيينه للمخاطب، وليس في ذكره بوصف مفهوم من الفعل فائدة، وذلك نحو:

سُرق متاعي، لأنك لا تعرف ذات السارق، وليس في قولك : سرق اللص متاعي فائدة زائدة في الإفهام على قولك سُرق متاعي وحيث حُذف الفاعل تقيم المفعول مقامه وتعطيه أحكامه المذكورة له في بابه فيصير مرفوعاً بعد أن كان منصوباً وعمدة بعد أن كان فضلة واجب التأخير عن الفعل بعد أن كان جائز التقديم، ويؤنث له الفعل إن كان مؤنثاً.

فالفاعل في مثل هذا يحذف، لأنه مجهول جهلاً تاماً للمتكلم، فهو لا يعرفه بل يعرف آثار فعله فقط ، وربما تعّمد المتكلم تجاهل الفاعل قصداً بهدف التعمية على المخاطب تحقيقاً لمصلحته الشخصية أو مصلحة الفاعل وسلامته.

وعلى الرغم من أن الفاعل مذكور " اللص " في قولك سرق " اللص المنزل " فإنه لا يمكن تحديد هذا اللص لذلك نقول إن التعبير بالمبني للمعلوم والمبني للمجهول متساويان دلالياً مختلفان نحوياً .

(هـ) حذف الفاعل للعلم به :

ومنه قول ابن عباس : خُيّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال فاختار العلم فأُعطي المال والملك معه.

الشاهد أعطي المال والملك أي : أعطاه الله المال والملك فحذف الفاعل للعلم به وهو الله سبحانه وتعالى فلا حاجة لذكر الفاعل لأنه معلوم للمخاطب .

فقد ذكر النحاة أن الفاعل يحذف في باب نائب الفاعل للعلم به أو لأنه معلوم لدى المخاطب ولا يحتاج إلى ذكر . نحو قوله تعالى :**خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** : أي : خلق الله الإنسان فحذف لأنه معلوم أنّ الله وحده هو

الخالق فإذا كان الفاعل معلوماً تماماً فمن العبث وفضول الكلام ذكره. والفاعل المعلوم ينصرف في الأغلب الأعم إلى المعتقدات الدينية فإننا حين نقول : أُنزل المطر يدرك السامع من فوره أن الأصل المقدر هو : أنزل الله المطر.

قال ابن جني : " وضابطه إنما هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول، ولا غرض من إبانة الفاعل من هو .

(و) حذف الفاعل للمحافظة على الكلام المنظوم :

ومنه قول أبي فراس من الطويل:

ولوكانَ مما يُسْتَطاع استَطَعْته ولكن ما لا يُستطاعُ شديد

الشاهد : يستطاع أي أستطيعه .

فالشاعر بنى الفعل يستطاع مرتين للمجهول فلو ذكر الفاعل في كل مرة لما استقام له وزن البيت فهو من البحر الطويل فلو بُني للمعلوم لاختلت تفعيلة البيت فإقامة وزن الشعر ضرورة لحذف الفاعل.

فقد رأى ابن عقيل أن من الأسباب التي تدعو إلى حذف الفاعل المحافظة على الكلام المنظوم وهو غرض لفظي ومن قول الأعشى :

عُلّقْتُهَا عَرَضاً وعُلّقَتْ رَجُلاً غَيْرِي وعُـلِّـقَ أُخـرَى غَـيرَهَـا الـرَّجُـلُ

فالأعشى بنى "علق" في هذا البيت ثلاث مرات للمجهول لأنه لو ذكر : الفاعل في كل مرة أو بعضها لما استقام له وزن البيت.

ومن الشواهد أيضاً في المنتخب، قول العباس بن عبد المطلب من البسيط :

يُغْضي حَياءً ويُغْضى من مَهابَتِهِ فما يُكَلَّمُ إلاّ حينَ يَبْتَسِمُ

الشاهد فيه أنه بنى كلا من الفعل يغضى في الشطر الأول والفعل يكلم في الشطر الثاني للمجهول ولو بنيت هذه الأفعال للمعلوم لاختلت تفعيلات البحر البسيط

(ز) حذف الفاعل للإيجاز :

ومنه ما جاء في الصدق والكذب:

من عُرف بالصدق جاز كذبه، ومن عُرف بالكذب لم يجز صدقه .

الشاهد عُرف بالصدق، عُرف بالكذب.

أي : عرفه الناس بالصدق، عرفه الناس بالكذب، فحذف الفاعل إيجازاً.

والإيجاز من الأغراض التي تدعو إلى حذف الفاعل وهو غرض لفظي، ومنه قوله تعالى:] فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ[.

(ح) حذف الفاعل لصيانته عن الألسنة :

ومنه ما جاء في الإذن والحجاب قيل : أُمهل فرعون مع دعواه الربوبية لسهولة إذنه وبذل عطائه.

الشاهد : أمهل فرعون.

أي : أمهل الله فرعون .فحذف الفاعل وهو لفظ ألجلاله لصيانته عن الألسنة .فالفاعل يحذف في باب نائب الفاعل إما بصونه على أن يجري على لسان المتكلم وإما بصونه على أن يقترن بالمفعول به في الذكر والمتكلم هنا حريص على عدم اقتران الفاعل وهو لفظ الجلالة مع فرعون المتكبر

المدعي الإلوهية .يقول الزركشي : قد يحذف الفاعل وذلك من مصير أن اسمه جدير أن يُصان ويرتفع عن الابتذال والامتهان . وعن الحسن قال : لولا أني مأذون لي في ذكر اسمه لربأت به عن مسلك الطعام والشراب.

ومن الشواهد أيضًا في المنتخب ما جاء في النوادر كتب رجل إلى آخر يستهدي حمارًا فقال : أبغيه متجنبًا الزلل، متوقيًا للنبل. فكتب إليه : أفق قليلا لعل القاضي أن يُمْسَخ حمارًا فأهديه إليك.

الشاهد : يمسخ حمارًا، أي: يمسخه الله حمارًا فحذف الفاعل وهو الله – تعالى – صيانة له.

(ط) حذف الفاعل للمحافظة على السجع في الكلام المنثور :

ومنه في المنتخب:

ذكر رجل رجلاً فقال : وهو أفصح خلق الله تعالى كلاماً إذا تحدث وأحسنهم إسماعاً إذا حُدّث.

الشاهد : وأحسنهم إسماعاً إذا حُدث حيث بني الفعل حُدث للمجهول فلو بني للمعلوم وذكر الفاعل لاختلّ سجع الكلام والسجع يؤثر في السامع ويُعطي الكلام نغماً موسيقياً جميلاً .

ومنه ما جاء في خطبة قُس بن ساعدة :

أرضوا بالمقام فأقاموا أم تُركوا فناموا .

الشاهد : أم تُركوا فناموا أي : تركهم الناس فناموا فلو ذكر الفاعل لطالت السجعة .

وقد جاء في القرآن الكريم بنائه للمجهول لمناسبة الفواصل في قوله تعالى :] وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى [ولم يقل يجزيها لتناسب الفواصل.

فالمحافظة على السجع في الكلام المنثور من الأسباب التي تدعو إلى حذف الفاعل وإنابة المفعول به مكانه للمحافظة على السجع في هذا الكلام المنثور وهو غرض لفظي ومنه من طابت سريرته حُمدت سيرته إذ لو قيل حمد الناسُ سيرته لاختلف إعراب الفاصلتين وطالت السجعة.

(ي) حذف الفاعل للخوف عليه :

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : من أكل وحده ومنع رِفْدَهُ وجلد عبده أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره " .

الشاهد : لا يُرجي خيره، ولا يُؤمن شره .

أي : يرجو الناس خيره ويأمن الناس من شره .

فقد حذف الفاعل مرتين للخوف عليه من هذا الصنف الشرير من الناس فالرسول صلى الله عليه وسلم شديد الخوف على أصحابه من هذا الصنف من الناس.

ومنه قول خلف الأحمر من الطويل في وصف زُنبور :

يُخاف إذا ولّى ويؤمن مقبلا ويخفي على الأَقران ما هو صانع

الشاهد : يُخاف إذا ولّى.

أي يخافه الناس إذا ولّى فحذف الفاعل للخوف عليه أن ينال بأذاه .

فالفاعل يحذف في باب نائب الفاعل لغرض معنوي وهو الخوف عليه إذا كان يتوقع أن يناله أحد بمكروه

ومن أمثلة هذا الحذف قول النابغة الذبياني :

نُبِئتُ أَنَّ أَبا قابوسَ أَوعَدَني وَلا قَرارَ عَلى زَأرٍ مِنَ الأَسَدِ

فقد حذف الفاعل خوفاً عليه .

(ك) حذف الفاعل إذا لم يتعلق بذكره غرض :

ومنه قيل: زخرف الكلام لا يثبت زلل الإقدام.

الشاهد قيل أي : قال حكيم فحذف الفاعل هنا لم يتعلق بذكره غرض لأن الهدف هو معرفة قول الحكيم وليس الحكيم نفسه .

فالفاعل يحذف إذا لم يتعلق بذكره غرض كما يرى ابن هشام مستشهداً بقوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحْ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا)**.

وقول الشنفرى من الطويل :

وَإِن مُدَّتِ الأَيْدِي إِلى الزَّادِ لَم أَكنُ بِأَعجَلِهِم إِذْ أَجشَعُ القَومِ أَعجَلُ

فحذفُ الفاعل سواء في الآية الكريمة أم في البيت لأنه لم يتعلق بذكره غرض.

(ل) حذف الفاعل للتحقير:

ومنه قول الشاعر : أبي إسحاق الموصلي من الطويل:

إذا سُدّذَبابٌ عنك من دونِ حاجةٍ فَدَعْها لأخرى لينُ، لك بابِها

الشاهد : إذا سُد بابُ .

أي : إذا سد لئيم باباً عنك فحذف الفاعل للتحقير من شأنه فالفاعل محذوف، وناب عنه المفعول .

ومنه أيضاً: ما زالت الأشراف تُهجى وتُمدح

الشاهد : تُهجى : أي يهجوها الدنيء من الناس .

يرى النحاة أن الفاعل يُحذف في باب المبني للمجهول، ويكون حذفه في هذا الباب مطردا إذا رغب المتكلم في إظهار تحقير الفاعل بصون لسانه على أن يجري بذكره وإذا حُذف ينوب عنه المفعول أو اسم في معناه يقول ابن مالك:

ينوب عن فاعل حذف المفعول في كل ما له كحيز المشتبه

ومن الشواهد الأخرى في المنتخب ما جاء في الأمثال في الخطأ والاختلاط: الجميل يُكدر بالمن أي : يكدره الدنيء بالمن. فحذف الفاعل لشدة تحقيره إياه قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى)**.

ومن ذلك الحذف للتحقير قول النابغة:

لَئِن كُنتَ قَد بُلِّغتَ عَنّي وِشَايَةً لَمُبلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وَأَكذَبُ

فحذف المبلغ احتقاراً له فبني الفعل للمجهول وحذف الفاعل احتقاراً له

المحور التاسع: حذف الفاعل إذا وجُد ما يدل عليه :

ومنه قول الناظم من الطويل :

وَمَن يَحمُدِ الدُنيا لِعَيشٍ يَسُرُّهُ فَسَوفَ لَعَمري عَن قَليلٍ يَلومُها

إِذا أَدبَرَت كانَت عَلى المَرءِ حَسرَةً وَإِن أَقبلَت كانَت كَثيراً هُمومُها

الشاهد فيه إذا أقبلت وإن أدبرت.

أي: إذا أدبرت الدنيا وإذا أقبلت الدنيا.

فحذف الفاعل لدلالة ذكره في الشطر الأول .

فقد جوّز الكسائي حذفه مطلقاً إذا وجد ما يدل عليه كقوله تعالى : **(كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي)**.

أي: الروح وقوله تعالى:] حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ [أي:الشمس، وقوله : **(فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ)** يعني العذاب لقوله تعالى **(أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ)**.

وقوله تعالى: **(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ)**

وتقديره: فلما جاء الرسول سليمان.

والحق أنه في الشواهد المذكورات مضمر لا محذوف .

المحور العاشر: حذف الفاعل فيما أضيف فيه المصدر إلى مفعوله:

ومنه ما جاء في التعازي ووصف النكبات :

لو خلد امرؤ لتمجد سلف أو إنصاف مظلوم أو إسعاف محروم لخُلد العالم المهذب والحاكم المدرب والحازم المجرّب .

الشاهد فيه : إنصاف مظلوم وإسعاف محروم.

أي : إنصافه مظلوماً أو إسعافه محروماً

يشيع حذف الفاعل فيما أضيف فيه المصدر إلى مفعوله ويكاد يكون أكثر المواطن شيوعاً واطرداً نحو قوله تعالى :**(يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)** أي حذرهم الموت.

ومن شواهد هذا الحذف في المنتخب أيضاً ما جاء في الأدعية والمناجاة :

الدعاء على ضربين، فالأول ذكر الله سبحانه وتعالى وتحميده وتمجيده، والثاني الرغبة إليه في الجوانح والفزع إلى رأفته عند الحوادث.

الشاهد : ذكر الله أي : ذكرهم الله .وتحميده أي : تحميدهم إياه .وتمجيده أي : تمجيدهم إياه .

ومنه في القرآن أيضاً قوله تعالى : **(لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً)** وهنا جاءت (دعاء) مصدر مضاف إلى الفاعل، وعليه فإن المفعول محذوف أي : دعاء الرسول إياكم، ويجوز أن يكون مضاف إلى المفعول على أن الفاعل محذوف أي : دعاءكم الرسول .

المحور الحادي عشر: حذف الفاعل إذا لاقى ساكناً :

ومنه قول شاعر في ذم العتاب :

رويْدَك إنَّ الدَّهْرَ فيه كِفايةٌ لِتَفْريقِ ذاتِ البَيْنِ فَانْتظِر الدَّهر

الشاهد فانتظر الدهر. أي : فانتظر الدهر.

وذكر السيوطي في (الأشباه والنظائر) أن الفاعل إذ لاقى ساكناً كقولنا : اضربوا القوم أو اضربي القوم يُحذف.

وتثبت الواو مضمومة والياء مكسورة لدفع التقاء الساكنين، وإلى ذلك أشار الناظم:

وَاحذِفهُ مِن رَافِعِ هَاتَينِ وَفِي وَاوٍ وَيَا شَكلٌ مُجانِسٌ قُفِي

الخاتمة:

فبعد هذا العرض لـ "حذف الفاعل في كتاب المنتخب والمختار لابن منظور دراسة في التركيب والدلالة " يجدر بالباحث أن يذيل هذه الدراسة بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها.

تنوعت صور حذف الفاعل ووصلت إلى إحدى عشرة.

إن كتاب المنتخب والمختار يحتوي على شواهد جمة وكثيرة متنوعة ما بين آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وشعر، ونوادر، وأمثال، وحكم، وخطب ومن هنا تأتي أهمية الكتاب للدراسة.

فيما يتعلق بإحصاء الظواهر التركيبية المتعلقة بالحذف في كتاب المنتخب والمختار لابن منظور توصلت الدراسة إلى الآتي :

ترتبط ظاهرة الحذف بالموقف اللغوي بحيث يستطيع المخاطب أو القارئ إدراك المحذوف دون حاجة إلى معرفة بقواعد علم النحو لأن الحذف هنا مسلك لغوي يتصل باللغة تحصيلاً وتعبيراً معاً.

القرينة الدالة على المحذوف إمّا حسية أو معنوية و إن كان يكثر في القرائن كونها لفظية.

يعود الحذف إلى سببين رئيسين هما :كثرة الاستعمال، واختصار التركيب وفي الحذف لكثرة الاستعمال نوع من الاختصار.

يعتمد النحاة في توجيه النصوص وفي تقديرهم للمحذوف على أمرين هما :

أ - نظرية العامل بمفهومها المحدد في البحث النحوي التقليدي والذي يحتم وجود أطراف ثلاثة في التركيب ، وهذه الأطراف هي العامل والمعمول والصلة أو الأثر الذي تركه العامل في المعمول.

ب - فكرة النحاة عن تكوين الجملة والتي تتضمن ضرورة وجود الإسناد فيها، يقتضي عندهم بالضرورة طرفين هما المسند والمسند إليه.

المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم.

-الطراز، للعلوي، راجعه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م

-أسماء الأفعال في القرآن الكريم، د/ أحمد نجيب، مجلة كلية اللغة العربية العدد الثالث عشر، 1415 هـ 1995م.

-إعراب ألفية ابن مالك في النحو، زين الدين خالد بن عبد الله الأزهري، الطبعة الأولى، د.ت.

-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الخامسة عشرة، 1967م.

-البحر المحيط، أبو حيان، طبعة السعادة، 1328هـ

- بحوث المطابقة لمقتضى الحال، علي البدري، مطبعة السعادة، القاهرة، 1984م.

- البرهان في علوم القرآن، الزركشي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د.ت.

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999م.

- التأويل النحوي في القرآن الكريم، للدكتور: عبد الفتاح أحمد الحموز، دار الأنبار للطباعة والنشر، 1981م.

-التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الفيحاء (دمشق) - دار السلام (الرياض)، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م.

- تفسير أبي السعود، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت.

-الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952م.

- الدليل اللغوي العام معجم عام شامل في الأدوات و التراكيب والمهارات الكتابية ، فياض سليمان، دار شرقيات، القاهرة، 1996م.

- السلسلة الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ، محمد ناصر الدين الألباني ، دار المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1412 هـ .

- شرح ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: 769هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، الطبعة: العشرون 1400 هـ - 1980م.

- شرح التصريح على التوضيح، تحقيق محمد باسل منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م.

- شرح الكافية الشافية، لمحمد بن عبد الله ، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ) المحقق: عبد المنعم أحمد

هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة الطبعة الأولى، د.ت.

- شرح اللمحة البدرية في اللغة العربية لابن هشام الأنصاري، هادي نهر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2008م.

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997م.

- قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، حققه وشرح معانيه وإعراب شواهده: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة - بيروت لبنان.

- المبني للمجهول في الدرس النحوي والتطبيق في القرآن الكريم، د/ محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة، الإسكندرية، 1989م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرحه وضبطه على محمد البجاوي ومحمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، مكتبة دار التراث، د.ت.

- المصباح المنير للمقري، تحقيق: د عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، 1978م.

- من الشواهد النحوية في شعر الصحابة، الدكتور/رمضان القسطاوي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع تاريخ النشر، 2008م.

- المنتخب والمختار في النوادر والأشعار لابن منظور، دار عمار – عمان، مكتبة الذهبي – القصيم، 1415هـ / 1994م.

- الموسوعة النحوية والصرفية الميسرة، القسم الثاني، أبو بكر علي عبد العليم، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

- النحو المصفى، تأليف: محمد عيد، عالم الكتب، 2005م.

- نشأة النحو العربي وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي، علق عليه سعيد اللحام د-ط عالم الكتب- بيروت 1426هـ.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق، د.عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.

: